

الأدب وعلم النفس

*سليم طارق خان

**حافظ احمد على

Abstract

Human psychology has ever been very significant in measuring and analyzing the habits, character, personality, actions and reactions of the human beings. It, as a science not only gives a detailed study of human personality but also reveals may hidden aspects of his personality and behavior in the environment or society in which lives with other human beings.

Following article 'Literature and Science of human psychology' deals with a new and significant relationship of literature and human psychology with each other. In Arabic Literature many poets and writers produced their literary works that also deal with the human psychology and his personality. Even some of their verses became permanent quotations (Drarb -ul Amtthal). Many eminent poets like Muttanabbi, Abut Tamam , Jarir . Al Farzadaq and other have made comments about the human personality and his behaviors although; it was in the perspective of their relations with their contemporary poets or writers, yet their major works are full of studies in human psychology. I have tried to highlight the different dimensions of human psychology in the light of Arabic literature and also tried to present the strong relations of literature with the science of psychology. I hope that this article will reveal new dimensions and fields for research students.

* رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الإسلامية بهاولفور

**الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الإسلامية بهاولفور

يتسائل الكثير من الناس عن العلاقة بين الأدب وعلم النفس ولذا طرحت الموضوع لدى أستاذاي الدكتور سليم طارق خان الذي قدم لي مفاتيح الجواب وأرشدني إلى كتابة مقال حول هذا الموضوع وذلك لكشف الروابط التي تجمع الأدب بعلم النفس فبدأت بالتصفح والتدقيق في الكتب العربية والأردية وشبكات المعلومات الإلكترونية - ولله الحمد والمنة تفتحت أمامي المجالات المشعبة ، وفي خلال عدة جلسات مع فضيلة الدكتور قدم لي نصائحه القيمة وإرشاداته الصائبة التي على ضوئها تم إنجاز هذا المقال .

أما عن أهمية هذا الموضوع فيمكن القول بأن العلاقة بين الأدب وعلم النفس ليست جديدة وإنما هي ممتدة إلى عصور سالفة وهي ازدادت وثوقاً وتماسكاً إثر تأسيس الدراسات النفسية على الأسس العلمية الحديثة ، فهي تمد الأديب بأبحاثها الدقيقة الخلايا الأساسية التي تساعده على تنمية إنتاجه الفني وتشعيب أطرافه ، ومن ناحية ثانية يستطيع العالم النفسي دراسة الأحوال النفسية للأدباء وذلك بملاحظة آثارهم الأدبية للتوصل إلى تقييم شخصياتهم ومعاينة أحوالهم النفسية .

تعريف الأدب:

تدل كلمة أدب على معان متعددة منها دعوة الناس إلى مآدبة ، ومنها تهذيب النفس وتعليمها ، ومنها الحديث في المجالس العامة ، ومنها السلوك الحسن ، ومنها الكلام الحكيم الذي ينطوي على حكمة أو موعظة حسنة أو قول صائب (١) . والمراد بأدب اللغة ما أثر عن شعرائها وكتابها من بدائع القول المشتمل على تصور الأخيلاة الدقيقة و تصوير المعاني الرقيقة مما يهذب النفس ويرقق الحس ويتقف اللسان ، وقد يطلق الأدب على جميع ما صنّف في كل لغة من البحوث العلمية والفنون الأدبية فيشمل بذلك كل ما أنتجته خواطر العلماء وقرائح الكتاب والشعراء (٢) .

ويظهر عند النظر في تاريخ لفظة الأدب عبر العصور أن الجاهليين استعملوها بمعنى الخطة الأخلاقية ولا سيما تلك التي سار عليها السلف الصالح ، ومن ذلك قول الأعشى ميمون : جرو على أدبٍ مني بلانزق . واستعملوها أيضاً بمعنى التعلم كما يتضح من الحديث

المشهور : أدبني ربي فأحسن تأديبي(٣). وظل استعمال كلمة الأدب على هذا المنوال بعد ظهور الإسلام إلى أواخر العهد الأموي ، حيث يذكر من ذلك قول الحجاج في خطابه الموجه إلى أهل الكوفة : أسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئاً... أما والله لأودبكنم غير هذا الأدب. وفي العهد العباسي عندما بلغت الحضارة العربية أوجها امتد معنى الأدب تارةً إلى مجموع المعارف البشرية ، وطوراً إلى المنهج الذي يجب اتباعه في فن من الفنون أو عمل من الأعمال فقالوا : أدب الكاتب ، و أدب المجالسة ، و أدب الكسب ، و آداب البحث ومناظرة الخصوم(٤).

وخلاصة القول أن المراد بالأدب كان عند بعض طبقات الناس ببغداد منذ بداية القرن الثالث الهجري إظهار الأخلاق المرضية للجلساء ، والظرف والإناقة في اللباس والطعام والشراب وسائر الأحوال الجيدة ، إضافة إلى ذلك الأناقة والفصاحة وعذوبة الكلام ، ثم تطور المعنى وبدأ استعماله لحفظ الأبيات الشعرية والنكت الطريفة ، وكانت مهمة الأديب الأخذ من كل شيء أحسنه وتعلم المهارة في النظم والنثر في ثوب بلاغي فريد . أما في عصر النهضة فقد اشترك العرب في مفهوم الغربيين لمعنى الأدب وجعلوا له معنى عاماً ينحصر في جملة ما أنشأته أقلام العلماء والكتاب والشعراء ، والمعنى الخاص هو عبارة عما سبك في قالب طريف وصيغ على نمط الإنشاء الأنيق من الكلام المنظوم والمنثور(٥).

تعريف علم النفس:

لقد سمي علم النفس Psychology وهو اسم ينقسم إلى كلمتين كلمة : Psycho وهي كلمة يونانية مشتقة من Psukhe ويراد بها : الروح ، وقد يراد بها : الذات ، وقد يراد بها : النفس ، وقد يراد بها : العواطف الإنسانية . والعامل المشترك في كل المعاني أنها تشير إلى تلك القوى والموهب التي تكون جزءاً من ذات الفرد . أما كلمة Logo فهي أيضاً يونانية تحمل معان كثيرة إلا أن المقصود بها هو : كلام ، بحث ، علم ، ويراد بها : المعرفة التي يتم برهنتها بالدلائل والأسس المنضبطة بعد البحث والمشاهدة والتجربة ، ومن ثم يتم من خلال ذلك وضع الأسس والقوانين (٦). ويطلق على مصطلح

السيكولوجيا في اللغة العربية : علم النفس ، وهي ترجمة تحمل معها دلالات من التراث الشعبي والثقافي عند العرب مما يمنح لعلم النفس دلالة روحية لا ينطوي عليها المصطلح الأجنبي الذي يتداخل مع كافة فروع الاختصاص ويتمازج معه حيث أنه من الصعب الفصل بين مصطلح السيكولوجيا ومصطلح علم النفس .

أما عن المعنى الاصطلاحي لعلم النفس فهو يدور في تحديده بدراسة الروح الإنسانية وأطلق عليه علم الروح عند اليونان ، ثم حاول علماء عصر النهضة الأوروبية الفصل بين علم النفس وعلم الروح فقاموا بتحديد علم الذهن الإنساني الذي يقوم بتشكيل حياة الإنسان وسلوكه ، وقام العلماء في العصر الحديث بتحديد علم النفس بدراسة الشعور والاشعور للإنسان والحياة ، وجعلوا موضوعه أسلوب التكيف للفرد تكيفاً سلمياً في البيئة ، ومنهم من قام بتحديد علم النفس بعلم السلوك والنشاطات الفردية والرغبات الذاتية . وأحسن موقف يمكن اتخاذه لوضع تعريف لعلم النفس هو الجمع بين أنشطة السلوك والعقل والشعور والاشعور (٨).

وفي ختام القول عن الدراسة حول تحديد علم النفس الحديث بأنه هو الذي يهتم بالسلوك البشري من حيث الناحية العقلية شعورية كانت أو لا شعورية بمظاهرها الداخلية والخارجية مع التركيز بالدراسة الكلية للرد الفعلي الإنساني بمساندة العلوم الأخرى كالعلوم السياسية والجغرافية والتاريخية وغيرها لمعرفة أفضل السبل المناسبة لقضاء الإنسان حياته في الدنيا ، ورسم نوعية العلاقات بين الناس والأشياء والأحداث مع تغير الأحوال والبيئة والأزمان .

الاتجاه الإنساني في الدراسات الأدبية:

الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمتلك مزايا وصفات قد تتفق مع غيره من الكائنات الحية بأنه يحيا ويعيش ويأكل مما تنبت الأرض ويتلذذ بخيراتها ويتناسل كأكثر مخلوقاتنا ، ويعمل جاهداً من أجل البقاء والحصول على لقمة العيش ، ثم يعود إلى رحمها متحللاً في ذراتها منتظراً ساعة البعث أمام رب العالمين ، وقد يؤلف في حياته الأسرة

والجماعة والوطن شأنه في ذلك شأن كثير من المخلوقات التي تسكن وتعمل مجتمعةً وتنظم أمورها بدقة ونظامٍ لا مثيل له ، ولكن مما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات هو الفكر أو العقل اللامحدود الذي أوّده الله إياه ، وفضله به على سائر الكائنات ، وهو يستطيع بواسطته أن يعيش لحظاته .. وأمسه .. وغده بالنمط الذي يرغبه مستخدماً الوسائل التي تناسبه ، وهو يعتقد أنها توفر له المزيد من الراحة والسكون والإحساس بالطمأنينة والسعادة (١٠) .

أما عن معنى كلمة الإنسانية فإن مفهومه يتجاوز ما توحى هذه الكلمة بادئ بدء من رحمة وشفقة وحنان ... إلى ما هنالك من صفات النبيل والأخلاق والفضائل ، ويتعدى المفهوم هذه الخصال الحميدة ويتسع ليصبح أفقاً إنسانياً رحباً يعم الكون وما فيه من سائر البشر والمخلوقات ، ويضيق في بعض الأحيان حتى يكاد يلتصق بالإنسان وهمومه وتطلعاته ومصيره ، ولم تكن هذه الكلمة متداولة في التراث اللغوي العربي القديم وتم استعمالها في العصر الحديث بعد الاتصال بالمعارف الإنسانية والاقتراب من العلوم والفنون العالمية ، وأصبحت فيما بعد تشمل الخصائص المشتركة بين الناس كالحياة والحيوانية والنطق وغيرها ، وهي في واقع الأمر قوة معنوية وروحية لا يمكن تجسيدها بالكلمات لكونها تتصل اتصالاً مباشراً بالفعل الإنساني الصادر عن الذات الخيرة الصافية التي تهدف في كل أعمالها إلى خير الإنسانية وسعادتها ، وإلى إصلاح البشري سعياً وراء الكمال والعرفة ووصولاً إلى حقيقة الإنسان المطلقة البعيدة عن كل الشوائب .

فالإنسانية بذلك قوةٌ روحيةٌ عظيمةٌ تخاطب عقل الإنسان وضميره وجوهره ، وتحاول إبعاده قدر المستطاع عن تلك المادية الضاغطة التي ما تزال تمسكه بعنقه تضيق عليه الأنفاس (١١) .

ونتيجة لذلك ظهر على معرض الوجود المذهب الإنساني في العصر الحديث الذي يرتكز على الإنسان خاصة وأن الكون وما فيه مجال رحب لوجود الإنسان ، ومجال واسع لتحقيق ذاته وأمانيه ، وصقل مواهبه وإحياء كرامته ، وكل ذلك لهدف جعل الإنسان أكثر إنسانيةً يتمتع بالراحة والسكون ويحس بالسعادة والهناء في حياته ، ويستطيع من كل

ذلك تحقيق نموّه وتقدمه وتسخير الكون من أجل مستقبله المنشود وحضارته التي يطمح الوصول إليها ، ويتطلب هذا المبدأ تنمية فضائل الإنسان الداخلية وقواه المبدعة وعقله المفكر لتحويل قوى العالم الطبيعية أدوات مسخرة لأجل حريته وعيشه الراقى وسعادته المطلوبه .

وبهذا فإن المذهب الإنساني يدعو إلى تعاون شامل بين البشر ويرفض الأسباب التي تدعو إلى التنافر والتنازع والخصام ، ويقوم بتحديد مستوى معنوياً للوصول إلى التعايش السلمي والحكم الصائب على الأفعال والأهداف بعيداً عن منطلق القوة والنفوذ والإرغام (١٢) .

وعلى إثر ذلك توالت نداءات مفهوم الاتجاه الإنساني في جميع ميادين الحياة وكان من بينها المجال الأدبي ، ومن المعلوم أن الأدب إنساني بالطبع لكونه يصدر عن الإنسان معبراً عن أحاسيسه وأفكاره وتطلعاته ، وإذا لم يكن الأدب إنسانياً فما عساه أن يكون؟؟ وليس بالإمكان أن نتصور أدباً يتحدث عن فراغ... ثم أن مفهوم الأدب بعد تطور العلوم والفنون وظهور النهضة العلمية الحديثة قد طرأ عليه التغير عن مفهومه السابق ، وتحول من شروح اللغة وللشعر ومن تعليقات وتفسيرات وملح ونوادر وحكايات وأخبار للمشاهير من الرجال والأحداث... إلى منحي آخر يهتم بحقائق الكون والإنسان والحياة ، وأصبح الشاعر والأديب يمعن النظر في صميم الواقع والمشاكل التي يعاني منها مجتمعه خاصة الإنسانية عامة ، فقام الجميع بتصوير أماكن التخلف والتقهقر والجهل والاستبداد السياسي بدلاً من إظهار مشاعره الذاتية وأحلامه الغائمة وتخيلاته وأحاسيسه المتنوعة.

وهكذا تولدت في نفوس الأدباء مشاعر جديدة ومطامح تختلف كلياً عما كان يألفه أسلافهم السابقون ، وأصبحوا يعيشون لمواطنيهم وجميع من حولهم من الأحياء على وجه الأرض وذلك للبحث عن الحرية والقيم والعدالة الإنسانية ونشر الاحترام لكل الناس والقضاء على المشاكل الاجتماعية ومعالجة مشاكل الفقر والجهل والكساد والتخلف العقلي والاقتصادي لهدف توفير السعادة والتقدم في شتى مجالات الحياة (١٣) .

دراسة شخصية الأديب في ضوء مفاهيم علم النفس:

لقد أشكل على العلماء فهم مصدر الفن وعوامل الانتاج الفني فزعم (أفلاطون) (١٣) أن الشعر جنون تخلقه ربان الشعر في نفس الشاعر ولا يتاح لأحد أن يقول الشعر إلا بواسطة هذا الجنون الطبيعي الصادر عن الآلهة المقدسة ، ويتضح بذلك أنه تم ربط الشعر منذ القدم بالجنون عند اليونان ولم يذهب العرب القدماء بعيداً في اعتقادهم في هذا الشأن حيث انهم كانوا متفقون أن الشعر من وحي الجن والمجنون هو من دخله الجن ، وعلى ذلك فإن الشاعر من صنف المجانين ولذا عندما ظهر النبي محمد صلى الله عليه وسلم بدعوة الإسلام اتهموه بقول الشعر والجنون فرد عليهم القرآن الكريم منكرأ عليهم ادعائهم الباطل بأنه ليس بشاعر ولا مجنون كما ورد في قوله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾ (١٥).

وكان القدماء يقولون : جاش الشعر في صدره ، بحيث أنهم يقرنون الفن بالهوى أو هياج النفس وذلك لما رأوه من حالات انفعالية غريبة عند الشعراء والخطباء ومن هم في مرتبهم كالكهنة والأنبياء (١٦) ، وكل ذلك من أجل أن الشاعر والأديب لديه قدرات متميزة ومتفوقة عن الآخرين في مجالات عديدة سواء كان من حيث القدرة على تشكيل الكلمات وتطويرها بشكل يفوق الإنسان العادي أو من حيث تزيينها بالأساليب البلاغية والحكم والأمثال النادرة ، فالشعراء أمراء الكلام يتفرقون به كيف شاؤوا بأساليبهم المتنوعة ، ومن تبرز أهمية جانب الموهبة الفطرية والتي تتلخص بوجود حساسية خاصة في الجهاز العصبي إضافة لقدرات التدوق الفني والجمالي التي يمكن أن تكون وراثية ولكن من المؤكد أن التدريب وطول الممارسة لهما دور كبير في صقل الموهبة الأدبية وتطويرها (١٧) .

وتصدر التجربة الشعرية العميقة عن ذلك التوحيد الحي الذاهل بين ما تعانيه النفس في الداخل وما تبصره العيون في الخارج ، وهي نوع من فيض النفس على الوجود وإخضاع له لقدر الحيلة والموت والبعث ، فليل امرئ القيس (١٨) ليس في الواقع ليل الطبيعة وإنما هو ذلك الليل ذاته بعد أن حلت فيه روح الشاعر ووحدت بين سواده وسواد

الهموم التي كان يعاني منها وقد صدرت إلى العالم الخارجي لتبعته بعثاً نفسياً ، بعد أن اتصلت بروحه من دون شكله ورمزه دون معناه وهذا ما يسمى بالانفعال المبدع الذي جعل الشاعر ينفجر بهمومه وأحزانه واصفاً الليل والبحر والتراب والشجر مع أنها لم يحصل فيها التغيير منذ آلاف السنين ولكنه قام بتحديد المعاني وابتكار الصور البديعة في حدود المنطق ، فالصباح الذي طلع أمس هو ذاته الذي طلع قبله أو منذ بدء الخليقة ، وهو يحمل معنى واحداً للعقل وقد أدرك ذلك المعنى غاية البدهة والثبات واستحاله التغيير حتى غدت شمس الصباح وكأنها شمس اليأس والقنوط ترسل أشعة السأم والجمود في عالم الإنسان المقهور المغلوب على أمره المختنق في قمم الأرقام والأحجام والمقاييس (١٩) •

ويظهر من ذلك أن الانفعال هو الذي يبدع الجمال الفني الذي يتمثل في حالة النفس كنوع من النشوة والإشراق لإدراك الحقائق المضمرة ودلالاتها الخفية ، وكما تعمق الانفعال النفسي تمكن من خرق الحدود المرسومة لفهم الأشياء والتقاطها في تخوم الحلم والرؤيا في حالة وجودها الروحي الأول قبل أن تأخذ أشكال الواقع وتتقيد بحدوده ومراسيمه •

ولا يتوقف الانتاج الشعري على الصناعة اللفظية فحسب وإنما يلزمه أيضاً التفاعل النفسي والتأثر بالموضوع مما يخلق في نفسية الشاعر توتراً خاصاً يستدعي صياغة الكلمات الشعرية التي تتمثل في ذهنه أو لسانه أو قلمه وهي تلح على الظهور بشكل تلقائي ، ومن ثم يمكن للشاعر أن يراجع كلماته أو يعدل فيها حسبما يريد وفق مناسبة العنوان الذي اقترحه والموضوع الذي اختاره للتعبير عنه ، وفي الحقيقة أن التوتر الإبداعي حالة من أحوال النفس تحمل الإثارة والحركة وتستدعي الحل والتوازن مما يؤدي إلى تشكيل الكلمات بطريقة معينة ، ومن ثم يتم الرجوع إلى إعادة التوازن والانضباط للحالة النفسية ، وهي بالطبع ليست حالة مرضية إذ هناك الكثير من الأدباء يعيشون حياتهم العادية بكامل طاقتهم وقدراتهم العاطفية والروحية والفكرية ، ويتفاعلون مع من حولهم بعمق وحساسية وبالتالي هم يعيشون حياة أكثر غنى وامتلاءً وأبعاداً من حياة الناس العاديين ، ولكن مما شك فيه أن العديد من

الاضطرابات النفسية يمكن أن تصيب الشعراء والأدباء كثيرهم من الناس المبدعين ، ومن الثابت علمياً أن الاضطراب النفسي الشديد لا ينتج إبداعاً جيداً لكونه حالة من التفكك والتدهور وعدم الترابط ، ويلزم للإبداع الجيد الحد الأدنى من المنطق والتوازن والصحة النفسية ، والاختلاف واقع في أحوال الشعراء وطبقاتهم وشخصياتهم ومنهم الهواة ومنهم المحترفون المتفرغون للكتابة ومنهم الأدياء والمحاولون ومنهم المبدعون والمفكرون والعظماء •

الروابط بين الأدب وعلم النفس:

تعدّ العلاقة شديدة الاتصال بين الأدب وعلم النفس حيث يقدم علم النفس المفاتيح السحرية لدارس الأدب تجربة وإبداعاً وتحليلاً ، ولقد استخدم المنهج النفسي في دراسة الأدب منذ القدم ومع كونه غير كاف في توضيح جميع جوانب الأدب إلا أنه يبقى مفيداً في الكشف عن غوامض وخبايا العمل وصاحبه ، أما علاقة الأدب بالفرد فتدور حول الحاجات الإنسانية التي يمكن أن نشبعها كفن جميل وكأداة للتعبير عند الفرد ، وأهم مبحث هو تحليل حاسة الجمال عند البشر والبحث عن أصولها وأهدافها المختلفة والتمييز بين مفارقاتها ، فهناك الشئ الجميل أو اللطيف الجليل ومن حيث أن الادب تعبير جمالي نفسي ، فعلى علم الجمال الأدبي أن يقف عند نظرية انتقال المشاعر وكثيراً ما كان شعراء العرب يتغنون بالحب لديار محبوباتهم لكونها تمثل شخصية محبوباتهم ، وكذلك كان وصفهم للأطلال جزءاً من نظرية انتقال المشاعر كقولهم:

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار

وإذا كان من اللزام على دارس الادب أن ينبش الكنوز المختبئة في بواطن الأدب فإن من المفيد له أن يمعن النظر في عملية الإبداع وفي المبدع نفسه والقوانين النفسية المتحكمة بشخصيات العمل الأدبي وبالأدب نفسه (٢٠).

ومما لا شك فيه أنه يمكن للأدب أن يرقى بالإنسان وهو أحد معالم التطور للفكر

البشرى،

وقد استطاع الشعر أن يعبر عن أدق عواطف البشر ومعاناتهم ، ووصل إلى أعماق النفوس وخبائها من خلال التعبير عنها ، وعن عواطفها وتصوراتها وخيالاتها كما أضاف للعلوم النفسية ثراءً وفهماً لطبيعة الإنسان وتفكيره ورغباته وتناقضاته وصراعاته ، وفسح المجال للمزيد من البحث والنظريات التي تحاول الوصول إلى الحقائق العامة التي يمكن أن تخدم الإنسان وتوفر له أسباب السعادة والهناء والعيش الأفضل في هذه الحياة (٢١).

أما عن وظيفة الأدب عند السيكلوجيين فذلك يتمثل في النواحي الآتية :

أولاً: الفن عند السيكلوجيين مثير للأحلام يفتح أمام العقل طرقاً مألوفة بالعودة فيسيير فيها مبهوتاً وغاية الفن تنويم القوى العاملة أو المقاومة في شخصية الأديب وإستحضار الصور والتغنى بالمعاني الجديدة مما ينشاء من ذلك إطلاق تأثيري شديد يزيد في جاذبية الفن.

ثانياً: الفن عندهم مصدر انسجام وتلاؤم بين عناصر مختلفة يقيم توازناً بين مختلف نواحي العقل ، ويقوم بالملائمة بين الطبيعة والحرية وبين العقل والشعور وبين الوعي واللاوعي وبين المادة والروح.

ثالثاً: الفن مصدر التنفيس وتسام يتفق السيكلوجيين مع أرسطو (٢٢) على أن الفن تنفيس للفنان وللمتذوق في آن واحدٍ لأنه تحقيق خيالي لرغبات باطنية ، وهو تعزية وتخفيف عن النفس ومصرف صحي للإنفعالات المكبوتة ، ومنفذ برى للشهوات والنزعات الضارة وهو مثير للنشاط النفسى ينقل إلى كل متذوق أحلامه الخاصة ويفهمه كل شئى طريقة ويتناول منه مايناسبه.

رابعاً: الفن ليس تبحراً وتأملاً وليس نتيجة الفكر والتصميم بل حركة منضبطة مختصرة .. ويشبه ذلك قول فرويد (٢٣) وأصحابه على أن الفن نتيجة لانضباط الغرائز وترفيعها وهو لا يصدر عادة الوعي والفكر والتصميم بل عن اللاوعي وهو منطقة العواطف المكبوتة والعقد النفسية المختبئة (٢٤).

وبهذا يكون الأدب متعه وإرضاء للحاجات المقهورة والرغبات الجائعة وترفيعا كالميول واستعاضة عن الحقائق بالخيال والرموز. فالأدب يستمد من الحياة ليدفع الحياة

ويوجهها وهو وسيلة الهام وتنفيس وتطهير وتعديل للأهواء وهو قادر أيضاً على تهذيب النفس وصقلها لوجود الحكمة والموعظة فيها بما يعكسه على النفس الإنسانية من نظام ورضى وتفتح وتذوق واستمتاع بالجمال والشعور القابل للانتقال من شخص آخر.

المنهج النفسي لدراسة الشخصية الأدبية:

الأديب إنسان شفاف مشرق الروح والفكر تتميز أعصابه بحساسية تكشف الواقع بكل أبعاده ومعانيه ويتحسس الصعوبات التي يمكن حدوثها في حياة الآخرين سواء أكانت فكرية أم اجتماعية أم فلسفية ، وهو في الوقت نفسه يعيش الجمال والكمال المطلق بنظرته التي وهبها الله له ، وباعتبار أن الصراع قائم بين ما هو واقع وبين طموح الإنسان لبلوغ الكمال المطلق ، ومهمة الأديب هي رسم الصورة لهذا الصراع وافترض الحلول المشرقة لصورة الواقع المشوهة.

والرؤية النفسية لدى الأديب تنبع أساساً من منطلقين:

أولهما: تجاربه الذاتية التي يتعرض لها في حياته كالانفعالات والعواطف والمواقف المختلفة والمشاكل المتنوعة وبناء على ذلك تتكوّن لديه ردود افعال خاصة تجاه ذلك ، إضافة إلى ترسخ المفاهيم والأسس النفسية ويقوم الأديب بترجمة كل ذلك في أدبه قصصاً أو شعراً أو مسرحاً.

ثانيهما: ما يجرى أمامه من وقائع وأحداث في خضم الحياة فيقوم بمتابعة ذلك بوعي ودراية ومن ثم يحاول البحث عن الدوافع والمؤثرات والنتائج وفق منهجه وتصوراته واستعداده الفكري والثقافي والسياسي والنفسي . والأديب من هذا المنطلق وذاك يستلهم خبراته ومعتقداته ويخضع تصوراته الخاصة التي تتعلق بواقع الأعراف والتقاليد لمؤثرات نفسية أو سياسية أو اجتماعية. (٢٥)

والمنهج المقترح لدراسة الشخصية الأدبية في ضوء مفاهيم علم النفس هو كالاتي:

- ١ . دراسة النبذة والسيرة الذاتية للأديب منذ ولادته إلى وفاته.
- ٢ . دراسة الظروف البيئية والوراثية المؤثرة في تكوين شخصية الأديب.

٣. تشخيص حالته النفسية منذ ولادته إلى أواخر أيام عمره.
٤. التدقيق في الموضوعات الأساسية ومحاولة الكشف عن الكواليس الخلفية والنداءات الروحية الباطنية ومقارنتها بالمتأثرات الخارجية.
٥. كشف النفسية الباطنية للأديب وانعكاساتها على النتاج الأدبي.
٦. دراسة الأمراض والعقد النفسية والاضطرابات بحيث تغني تلك الدراسة للنتاج الأدبي عن دراسة السيرة الذاتية. (٢٦)

الخاتمة:

أن معرفة وعلم النفس لا يعنى الترويح أو التقييد بما أنجزه علماء النفس فللكاتب هو الآخر قدرة الإبانة والكشف عن مجاهل النفس الإنسانية ويمكنه أن يكتشف من خلال تجربته الفنية آفاقاً جديدة بأساليب ذاتية خاصة تختلف عن أساليب علماء النفس. فالفن قبل العلم استطاع أن يشحذ خيالات البشر وأفكارهم كي يصعدوا إلى الكواكب البعيدة، ويستخدموا الآلات الخرافية، فكانت أحلام الشعراء والأدباء المبكرة بداية الطريق لمن أتى بعدهم من أجيال الأدباء.

وإذا كان الأدب الإسلامي وسيلة لغاية أسمى في حدود مفاهيم الشريعة الإسلامية فمن الخطأ ألا يكون الأديب الذي يترجم عن تلك الوسيلة في حالة من اللياقة الفكرية والنفسية والفنية لكي يكون مؤهلاً لأداء هذه الرسالة الخالدة، إذ لا تنتهي مهمة الأدب بالكشف عن خبايا الحياة فحسب ولكنه يقوم بفحصها وتسليط الضوء عليها والتمييز بين الجيد والردئ. ويستفيد الأديب لحد ما من منجزات علم النفس الحديث لا لتطبيقها حرفياً حيث تفقد خطاه وتقوم بتحديد خط سيره والزامه الزاماً بنظرياتها، ولكن لتفتح أمامه مزيداً من الأبواب المغلقة، وتمده بقدر من الوعي ليساهم في حماية حركته ونمو أدبه وإنتاجه الفني وحصوله على المكانة والإجلال لدى نفوس الجماهير وتحقيق الغاية والهدف المرسوم من ورائه. ويلزم التنبيه من هذه الناحية أن الأدب الإسلامي لا يقف معانداً ضد نظريات علم النفس الحديث ولكنه يتحفظ إزاء بعض شطحاته وينكر بالضرورة ما

يتعارض منه القيم الإسلامية وتصوراته ، وهي بالفعل نقائص قد أقر بها الكثيرون من علماء النفس أنفسهم لكونها وجهات نظر قابلة للخطأ والصواب ولا ترمي بعضها إلى مستوى الحقائق العلمية المؤكدة. (٢٤)

أما عن علاقة علم النفس بالنقد الأدبي فهي تتمثل في جانبين :

أولهما: في البحث عن عملية الخلق والإبداع. وذلك بتسليط الأضواء على نفسية الشاعر وموهبته الفنية.

ثانيهما: في الدراسة النفسية للشخصيات ، وذلك لتوضيح العلاقة بين مواقفهم وأحوالهم الذهنية وبين خصائص نتائجهم الأدبي والفني.

ويعمل النفساني المحترف على محاولات من تحليل نفسية الأديب من إنارة ومعرفة للمشكلات والمواقف النفسية كي يمكن التفسير للأثر الأدبي من دون الرجوع إلى سيرته الذاتية (٢٨)

ويستخلص من ذلك أنه إذا كان علم النفس ينصب اهتمامه بالإنسان والبحث عن خوالج باطنه ، وسلوكياته الظاهرة ودراسة الخلفيات لكل قول أو فعل طبقاً لمبدأ أن لكل حركة أو نشاط أو لفظة يلزم إسناده على ركيزة معينة ، ولكل شئ سبب ما ولكل حادثة خلفية تستند عليها .

فالأدب هو الذي يقوم بنقش الرسوم ونحت الأحجار محاولاً نقل الباطن الخفي بواسطة الألفاظ والعبارات إلى صحف يمكن التلذذ والتذوق بقراءتها ، وترطيب الأسماع عند سماعها وتنشيط الأرواح والهمم وإطفاء لوعة الهموم والأحزان والمصاعب التي يواجهها الجميع في خضم مصاعب حياتهم اليومية ، والانتقال من الواقع البائس المحيط من حوله إلى عالم الخيال والمثال البعيد عن الأنظار .

وهنا يحصل اللقاء بين الأدب وعلم النفس لأن الهدف من الأدب التأثير على النفس وهذا التأثير يكون طبقاً لإرادة القائل أو الشاعر ، ومع الاقتران بالموسيقى يزداد أثره في النفس . ولذا فإن من الشرط الأساسي للأدب أن يكون تعبيراً صادقاً عن النفس إن كان غنائياً

ذاتياً وعرضاً تشريحا عن هموم الشعب وقضايا الأمة إن كان اجتماعياً لهدف نشر الفضيحة والعدالة والقضاء على الرذيلة والفساد والوصول إلى الحياة السعيدة. (٢٩)

الهوامش

١. فروخ: عمر، تاريخ الأدب العربي، (الأدب القديم)، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الثانية، ذوالقعدة ١٣٨٨هـ، شباط فبراير ١٩٤٩م، ص ٣٢.
٢. الزيات: أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣١٣هـ. ١٩٩٢م، ص ٤.
٣. ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سمع النبي يخاطب وفد بني نهد قائلاً: أدبني ربي فأحسن تاديبى وربيت بني سعد.
٤. زيدان: جرجى، تاريخ آداب اللغة العربية، دار المعرفة بيروت ص ١٦.
٥. حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، دار ذوى القربى، ايران، الطبعة الأولى، ١٣٢٢هـ، ص ٣. ١٣.
٦. د/ أحمد محمد عامر: أصول علم النفس العام في ضوء الإسلام، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص ١١.
٧. جورج كانيغلام، مقبال في مجلة الثقافة النفسية المتخصصة الصادرة عن مركز الدراسات النفسية. عنوان الشبكة الاليكترونية: www.edunet.tn.com
٨. الفورتية: أحمد جهان، بحوث في علم النفس العام، دار الشروق، الطبعة الثانية ١٩٨٣م ص ١٢. ١١
٩. د/ عبد السلام عبد الغفار: مقدمة علم النفس العام، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ص ٨.
١٠. أحمد جهان الفورتية، القرآن أصل التربية وعلم النفس، دار صادر بيروت. لبنان، ص ٨.
١١. د/ مفيد محمد قميحة: الاتجاه الانساني في الشعر العربي المعاصر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٠١هـ. ١٩٨٨م. ص ٢٨. ١٠.
١٢. المصدر السابق. ص ٢٩. ٣٤.

- ١٣ . المصدر السابق ص ٣٨. ٥١ ، ود/أى بى اشرف: مسائل أدب تنقيد وتجزية، سنك ميل
 بيلي كيشنز لاهور، ١٩٩٥م، ص ٢٥. ١٣.
- ١٣ . أفلاطون ولد قبل الميلاد ٢٢٤. وأخذ بنصيب وافر من الأدب اليونانى والعلوم الرياضية
 ثم قرا كتب الفلاسفة وأعجب بسقراط فانتقل اليه ولازمه ثمان سنين وأنشاء أقاديمه وظل يكتب
 ويعلم فيها حتى مات . ٣٥ وليم نيسل: محتصر ترين فلسفة يونان، مجلس ترقى اردو، ص ١٠٨ .
- ١٥ . القرآن، يسين: ٦٩.
- ١٦ . روز غريب: النقد الجمالى وأثره فى النقد الأدبى، دار العلم الملايين، بيروت ، الطبعة
 الاولى، ١٩٥٢م، ص ٥٠. ٥٣
- ١٧ . د/ حسان المالح: الشعر والشعراء من الناحية النفسية ، مقال على الشبكة الاليكترونية
 (بين الأدب والفن والنفس): <http://www.hayatnafs.com>
- ١٨ . امرأؤلقيس ولد بنجد نحو سنة ٥٠٠م وكان أبوه ملكا على بنى الشاعر لطلب الثار ومات
 سنة ٥٢٠م واشتهر بالمعلقة التى نظمها فى وقعة داره جلجل.
- ١٩ . الحاوى: ايلياء، فى النقد والأدب ، الجزء الأول ، دار الكتاب اللبنانى بيروت ، الطبعة
 الرابعة، ١٩٤٩م، ص ٣٢. ٣٤
- ٢٠ . الهنداوى: حسين على، المنهج النفسى لدراسة الأدب، مقال فى الأدب والفن والنفس،
 وعنوانه على الشبكة الاليكترونية : [www/alwatancice.com](http://www.alwatancice.com)
- ٢١ . د/ سليم اختر : نفسياتى تنقيد ، مجلس ترقى أدب ، لاهور ١٩٨٦م، ص ٢٣٠. ٢٣٣
- ٢٢ . ارسطو (Aristotle) (٢٨٢. ٣٢٢) عاش ما بين هذه الفترة قبل الميلاد ويعد العلم
 النفسى الأول فى التاريخ وكان تلميذا لأفلاطون وهو صاحب المنطق وقد انفرد بالإيداع والإبتكار
 وتأثر به الفلاسفة المسلمين . نفسيات كارتكاء ، ص ١٨. ٢٠
- ٢٣ . فرويد (Freud) (١٨٥٦م. ١٩٣٩م) طبيب الأمراض العصبية النمساوى ، يعتبر احد
 أشهر علماء النفس وأبعدهم أثرا فى الفكر الحديث وقام بتأسيس طريقة التحليل النفسى .
 c james good win ; (A history of Modern psychology) printed in usa
 2004 , page no 354
- ٢٢ . النقد الجمالى وأثره فى النقد الأدبى، ص ٥٩. ٦٢

٢٥. علم النفس والأدب والفن، عنوان الشبكة الالكترونية: [http// forum.alhoanlin.com](http://forum.alhoanlin.com)
٢٦. د/ أحمد زلط : دراسات نقدية في الأدب المعاصر ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ،
١٩٩٣ م ، ص ١٣ . ١٢
٢٧. الكيلاني: د/ نجيب ، الأدب الإسلامي وعلم النفس ، والعنوان للشبكة الالكترونية
www/balagh.com
٢٨. ديقديتس ، مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، ترجمة : د/ محمد يوسف نجم ،
دار صادر بيروت ، ٢٩٦٤ م ، ص ٥٢٣ . ٥٢٤
٢٩. الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، ص ١٥ . ١٦